تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

أستاذ جامعى يقول :

لم أكن أحب أن أعود الآن إلى الدكتور عبد الرحمن بدوى ... لم أكن والله أحب أن أعود ، ولكن ماذا أفعل وهو يجبرنى على العودة إجبارا ويدفعنى إليها دفعا دون أن يترك لى شيئا من الحرية أو شيئا من الاختيار ؟! وما ذنبى إذا كان الأستاذ الجليل والفيلسوف الكبير قد أعجب كل الإعجاب بقصة مالك الحزين ، حتى لقد مثلها بالأمس على مسرح الفكر ثم عاد اليوم ليمثلها مرة أخرى على مسرح الحياة ؟ ! هل تذكر دوره الخالد الذى قام بتمثيله خير قيام على صفحات كتابيه « أرسطو عند العرب » و « الإشارات الإلهية » ؟ ليس من شك فى أنك تذكره ، لأن آثار التصفيق الحاد لا تزال واضحة على كفيك ... إن هذا الدور الخالد — أقصد دور مالك الحزين — قد مثل من جديد ببراعة ليس لها نظير ، وصفق اليوم بقوة كما صفقت بالأمس ، وإياك أن تستهجن حركات الممثل البارع فتملأ الجو بالصفير ! !

هل قرأت جريدة « الأساس » فى عددها الصادر يوم ١٩ فبراير ؟ إذا لم تكن قرأتها فقد نبئنا عنك فى قراءتها لننقل إليك هذا النبأ المثير ... قالت الجريدة فى صفحتها الثالثة وتحت هذا العنوان : « اقتراح جديد لعله يفيد » ، قالت فى مجال حملتها على وزارة المعارف وتعريضها بشراء الكتب الإضافية : « تلقينا من الدكتور عبد الرحمن بدوى أستاذ الفلسفة بجامعة ابرهيم كلمة يعلق بها على المناقشات الدائرة حول ما يؤخذ على وزارة المعارف فى شرائها كتب المطالعة الإضافية للمدارس وكتب المكتبات . وقد تضمنت كلمته اقتراحا جاء فيه :

« عندى اقتراح برفع الأمر عن كاهلها ؛ وقديما قال حكيم : من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن ، هو أن نبعد الشبهة ومواطنها فتلغى وزارة المعارف نظام شراء الكتب غير المدرسية أيا كان نوعها . وعلى المؤلفين أن ينزلوا إلى

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، والديربنى فى كتابه : إرشاد الحيارى فى روع من مارى

وفى عصر سيادة السلطان الشيعى رأينا طلائع به رزيك يؤلف كتاب الاعتماد ، فى الرد على أهل العناد ، وعندما زالت دولة هذا المذهب رأينا العلماء يتصدون للرد عليه ، فرأينا مثلا بهاء الدين القفطى يؤلف كتاب النصائح المفترضة فى فضائح الرفضة ، ولما ساد المذهب الأشعرى تصدى العلماء لنصرته والدفاع عنه ، فكتب ابن عساكر رسالة يرد فيها على من انتقص الأشعرى ، وأخذ الأشاعرة يردون على من خالفهم من المعتزلة والحنابلة ، وحاول بعض العلماء التوفيق بين المذهبين كما فعل ذلك عبد الغنى النابلسى فى كتابه التوفيق الجلى بين الأشعرى والحنبلى

وضع علماء ذلك العصر كتبا تتناول مسائل علم الكلام من إلهيات ونبويات وسمعيات ، وعرفت من هذه الكتب زهاء عشرين ، منها ما وضعه ابن دقيق العيد ، والعز بن عبد السلام . وأكثروا من كتابة عقائدهم التى يدينون الله بها ، ونستطيع أن نرى نموذجا لما كتب من هذه العقائد فى عقيدة العز بن عبد السلام ، وهى مرتبة فى كتاب طبقات الشافعية للسبكى (ج ٥ ص ٨٥)

وعالج بعض العلماء كثيرا من المسائل الجزئية التى كانت موضع جدل فى ذلك العصر ، مثل مسألة القضاء والقدر ، وقد نالت من عناية رجال هذا العهد حظا موفورا ، ومسألة الثواب والعقاب وهى ترتبط بالمسألة السالفة ارتباطا وثيقا ، كما أثار الحنابلة موضوع صفات الله ، ومعنى ثبوتها له ، والقرآن وقدمه وحدوثه ، فرأينا كتبا تتناول هذه المسائل بالبحث والتفصيل

ومن أشهر متكلمى هذا العهد شهاب الدين الطوسى ، وسيف الدين الآمدى ، وعلاء الدين الباجى

الكلام بقية

أحمد أحمد بدوى

السوق والجمهور ، فهو الفيصل النهائى فى تقدير أعمالهم ، وليس لجنة ولاهيئة يعلم الكل بأى وحى تسير ووفق أى هوى تعمل ... وفى هذا الاقتراح مايشرف كرامة المؤلفين ، ويصون قيمة الأعمال العلمية والأدبية ، ويحررهم من عبودية الدولة ، باستجدائها وعلق رضاها . والمفكر والأديب الحق هو الذى يحرص على هذه الحرية وتلك الكرامة ، فينزل إلى جمهور القراء وجها لوجه .

ولسنا نعرف فى أمة متحضرة مثل هذا التسول العلمى والأدبى الذى يلجأ إليه المؤلفون لدى ديوان العطاء الحكومى ... فهل يتفضل معالى وزير المعارف فيحسم الأمر بهذا الاقتراح ، وهو أحرص الناس على كرامة العلم والأدب »

هذا هو نص الاقتراح الذى تفتقت عنه عبقرية العالم الجليل السيد بدوى ... اقرأه بعناية ، ثم تقبل منى أحر الرجاء بأن تقف طويلا أمام تلك الكلمات التى تحتها خط ، لأن مالك الحزين طيب الله ثراه هو الذى ضغط على يدى لتضع هذا الخط اللعين تحت تلك الكلمات .. إن العالم الجليل هنا يتحدث عن الحرية ، ويتحدث عن الكرامة ، ويلقى على الأدباء « المتسولين » درسا ان ينسى الدهر روعة ألفاظه ومعانيه ! هل تصدق أننى حين قرأت تلك الكلمات منذ بضعة أيام ، قفز إلى ذهنى خاطر عجيب هو أن السيد بدوى إنسان يستحق الاحترام ؟ لقد قلت لنفسى يومئذ إننى سأغتفر له فضائحه العلمية التى هزت سمعة الجامعة ، وسأذكر له بالخير أنه إنسان ينظر إلى الكرامة على أنها شعار كل عالم وأديب . . . وما أجدر المفكرين الأحرار الذين عناهم العالم الجليل بكلماته ، ما أجدرهم أن يعوا هذا الدرس القيم ليحفظوا ماء الوجوه وكرامة النفوس ، حين يبتعدون عن مثل هذا « التسول » العلمى والأدبى الذى يلجأ إليه البعض لدى ديوان العطاء الحكومى !

هذا ما قلته لنفسى يوم أن وقعت عيناى على اقتراح العالم الجليل ، وعذرى أننى ظننت أنه كريم جدا على نفسه ، لا يرتضى لها أن تهبط إلى هذا الدرك « الوضيع » الذى يهبط إليه غيره من الأدباء المتسولين ، حين يجبنون عن لقاء الجمهور فلا يجدون أمامهم من طرق الاستجداء غير وزارة المعارف .. ولكن العالم الجليل قد خيب ظنى فى مثاليته ، لأن هذه المثالية كانت حبرا على ورق ، شأنها فى ذلك شأن المعاهدات السياسية فى هذه الأيام !

لقد قال حضرته للناشرين فى كتابه « أرسطو عند العرب » إنكم جهلاء ، ثم راح يرسم لهم الطريق ، ثم ما لبث أن صافح الجهل وعانقه وقبل خديه فى « الإشارات الإلهية » .. وقال حضرته للمؤلفين فى كلمته التى نشرتها « الأساس » إنكم غير كرماء ، ثم ألقى عليهم درسا فى الكرامة ، ثم ما لبث أن قادته قدماه إلى وزارة المعارف ليطمئن على كتبه الغالية . . أعنى ليتسول على حد تعبيره البليغ

لقد قلت لك إن هذا الدور الخالد — دور مالك الحزين — قد مثل من جديد ببراعة ليس لها نظير . . وصفق اليوم بقوة كما صفقت بالأمس ، وإياك أن تستهجن حركات الممثل البارع فتملأ الجو بالصفير ! إنه حظ سيئ ذلك الذى أوحى إلى العالم الجليل بأن يذهب إلى وزارة المعارف ليتسول على مرأى ومسمع من كاتب هذه السطور ؛ حظ سيئ لأنه لم يكن يعلم أننى أعمل هناك ، فى تلك الإدارة المختصة بفحص الكتب والتأشير عليها بالرفض أو بالقبول . . وحظ سيئ المرة الثالثة حيث حضر إلينا العالم الجليل فى يوم الأحد ٢٥ فبراير ، وحديثه عن التسول والمتسولين لم يجف له مداد !

إنها خمسة أيام فقط بين حديثه عن الحرية ، والكرامة ، والتسول العلمى والأدبى ، وبين مجيئه إلى وزارة المعارف ، وسؤاله عن كتبه التى رفضت ، وشكواه إلى المسئولين من أن مواهبه الفذة لم تكن محل رعاية وتقدير ! !

وياله من لحظة تلك التى لن ينساها صديقنا الدكتور محمد يوسف موسى وغيره من حضرات الزائرين ، حين تطرق الحديث إلى مقالات « الرسالة » و « الثقافة » حول الفضيحة العلمية التى هزت سمعة الجامعة ... لقد كان النقاش دائرا حول العالم الجليل حين فتح باب الحجرة ، ونفذ منه رأس ملئ علما هو رأس الدكتور عبد الرحمن بدوى ! إلى هنا وأقف قليلا لأنقل إليك مشهدا من المشاهد ينبغى أن ترى له مثيلا على شاشة السينما أو خشبة المسرح ،

وأعنى به مشهد الدكتور بدوى حين وقعت عيناه على كاتب هذه السطور ... لقد أذهلته المفاجأة حتى وقف فى مكانه من الحجرة حائرا لا يريم : لا خطوة إلى الخلف ، ولا خطوة إلى الأمام ، ولا كلمة ينقذ بها نفسه من بسمات الشفاه ونظرات العيون ! هل رأيت فى حياتك فأرا صغيرا قد أطبقت عليه مصيدة لم تكن له فى حساب ؟ إذا كنت قد رأيته فحسبك هذا الإيجاز وأعفنى من مشقة الإطناب . . ولا أطيل عليك فقد أشفق عليه أحد الزملاء ونهض ليصحبه إلى الحجرة المجاورة ، وهناك أخبره العالم الجليل بسبب مجيئه ، وهو أنه أراد أن يطمئن على كتبه الغالية ! وما كان أخبث الزميل الفاضل حين لحق به ليقول له : لقد فحصنا كل كتبك يا دكتور .. حتى « الإشارات الإلهية » !

وأترك هذا كله لأعقب على رسالة للأديب الفاضل محمود أحمد الشربينى بكلية الآداب جامعة فاروق ، حيث يوجه إلى فيها هذه الكلمات : « أريد أن أسألك يا سيدى ... إذا كان هذا هو فهم الدكتور عبدالرحمن بدوى للنصوص العربية التى هى جزء من لغته وراثة أجداده ، فكيف يكون فهمه للنصوص الفرنسية مثلا وهى جزء من لغة أخرى لا يعقل أن يجيدها إجادته للغته ؟! يخيل إلى أن الحقيقة قد بدأت تتضح لى ، بعد أن كنت أتهم نفسى بالغباء كلما قرأت للدكتور بدوى كتابا مترجما عن لغة أجنبية ! فمن المؤكد أنه لا يفهم النص الذى يترجمه حق الفهم ، ولهذا تبدو أكثر ترجماته وهى ملتوية وغامضة ، ولو كانت واضحة فى ذهنه لانعكس هذا الوضوح فى نقلها إلى العربية ! أليس كذلك يا سيدى ؟ إننى فى انتظار جوابك » !

هذه هى كلمات الأديب الفاضل ، وردى عليها هو أن أقول له : إنك لم تعد الصواب فى هذا الذى ذهبت إليه ، ولست أدرى كيف كنت تتهم نفسك بالغباء وأنت تملك هذا القدر من الذكاء .. إن ذكاءك بخير ياصديقى ، لأنك لو كنت غبيا لاستطعت أن تفهم كتب السيد بدوى المترجمة عن لغات أجنبية ! حسبك أن معالى الدكتور طه حسين باشا قد قال له يوم أن كان يناقشه فى رسالة الماجستير : إن الشئ الذى يحيرنى هو أن اللغة الفرنسية وهى لغة الوضوح والإبانة ، تصير على يديك وهى لغة الغموض والتعقيد ! !

٣٦ ٠ ٢١

بعد هذا أود أن يرجع الأديب الفاضل إلى « تعقيبات » العدد (٨١٦) من الرسالة ، ليقرأ هذه الكلمات التى كتبتها منذ عامين ، وهى تثبت أن بعض النابغين من طلاب المدارس الثانوية ، يفهمون اللغة الفرنسية خيرا مما يفهمها العالم الجليل : « تحدث الدكتور عبد الرحمن بدوى فى عدد (شباط) من مجلة الأديب اللبنانية عن مسرحية الأيدى القذرة « Les Mains Sales » للكاتب والفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر .. ولقد استوقفنى ما جاء بمقاله من ترجمة خاطئة لبعض كلمات رأيت أن أصححها ، حتى لا تبعد الشقة بين أصلها فى الفرنسية وبين ما يقابلها فى العربية .

ترجم الدكتور بدوى هذه الكلمات « La Putain Respectueuse » وهى عنوان مسرحية لسارتر بـ « العاهر المهيبة » ؛ وهنا يبدو شئ من الانحراف فى الترجمة لا يستقيم معه المعنى سواء أكان منسوبا إلى عنوان المسرحية أم كان منسوبا إلى الفكرة التى بنيت عليها .. إن المهابة كما يدل عليها موضوع المسرحية وكلمة « Respectueuse » لا تنسب إلى « العاهر » وإنما تنسب إلى المحيطين بها من عشاق الجسد ، أولئك الذين كانت ترهب بهم وتحتفى بمقدمهم ؛ وإذن تكون الترجمة الصحيحة هى « العاهر الحفية » ... أما « العاهر المهيبة » فلا يقابلها فى الفرنسية غير هذه الكلمات « La Putain Respectable » !

وترجم الدكتور بدوى عنوان مسرحية أخرى لسارتر ترجمة خاطئة وهى مسرحية « La Nausée » حيث قابلها بكلمة « القرف » ، مع أن ترجمتها الدقيقة هى « الغثيان » ... والفارق بين الترجمتين بعيد ! إلى آخر ما قلته فى هذا المجال » ...

ومع هذا كله فلا يزال السيد عبد الرحمن بدوى أستاذا فى الجامعة !!

شاعر في الميزان :

أدباء السودان الذين يتلقون العلم فى القاهرة عاتبون على ، وعرد العتاب الذى يمتزج بالدهشة حينا وبالعجب حينا آخر ، إلى أننى لم أقرأ شيئا من شعر شاعرهم الراحل : التيجانى يوسف بشير ! هذا ما جهرت به فى العدد (٩٢٠) من الرسالة حين طلب إلى